كتاب «فن الإلقاء . تربية الصوت» للدكتور بدري حسون فريد:

دليل اساسي لجميع العاملين في فنون القول

فيصل عبد الحسن *

■ هذا الكتاب هو ـ عمدة ـ في محاسن فن الإلقاء وآدابه ومنهجه، وهو ـ يتيمة دهرنا ـ للمسرحي العربي، ولا غنى عنه للملقي ولكل من يتعامل مع الكلمة المنطوقة في مختلف الأجناس الإبداعية والمجالات المعتمدة على منطوق الكلام ونبره وتنغيمه ومماثله ومبدله، هذا ما كتبه د. جمال بو طيب عند تقديمه لكتاب فن الإلقاء ـ تربية الصوت ـ للدكتور بدري حسون فريد الذي صدر عن دار منشورات الديوان قبل أيام في المغرب. والكتاب بالرغم من أكاديميته وتخصصه الدقيق من الكتب المهمة لكل من خاطب جمهورا من الناس سواء كانوا من المتعلمين في الحقول الدراسية أو من المتهنين لمهن لها علاقة بنقل خطابها إلى الناس عبر الكلام. يقول كاتب الكتاب في تعريفه لفن الإلقاء كمعنى ووظيفة وخطوات :لقد اعتنى العرب القدماء على مر السنين بفن الإلقاء بشكل أو بآخر وربما أكثر من عنايتهم ببلاغة الكلام وما ذلك إلا لان الكلام كان عندهم مسموعا أكثر منه مقروءا وكان الاعتماد على الحفظ أكثر من الاعتماد على التدوين وقد ظهر ذلك الاعتناء في كتابات ابن سينا عن نشأة الألفاظ وفي سر الصناعة لابن جني وفي سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي. ص 28

خبرة المؤلف

والكتاب مهم في تقريب أهداف الملقي لتصل للمتلقي بشكل تام فهو مهم لخطباء الجوامع والمذيعين في الإذاعات السمعية والبصرية ولفناني المسرح الذين من اجلهم وضع الكاتب كتابه، والمؤلف غني عن التعريف فهو الدكتور بدري حسون فريد وهو ممثل ومخرج وأستاذ لفن الإلقاء في المعهد العالي لفن المسرح في الرباط وقد جاءت مقالات الكتاب متدرجة الصعوبة للخروج بالطالب المبتدئ إلى نور التواصل مع الآخر بمختلف أدوات التواصل المعرفية سمعية كانت أم بصرية، وهو وسيلة مهمة أيضا لمن يهمهم معرفة أسرار هذا الفن المهم، وقد نشر الكاتب معظم مباحث هذا الكتاب في جريدة «الميثاق» المغربية منذ سنوات واحدث في حينها ما نشره الكاتب من مقالات انتباها حقيقيا لقطاعات واسعة من المشتغلين في الإعلام والاتصال المغربي لأهمية هذا الجانب في عملهم وتهذيبهم بمعارفه لتطوير القابليات الشخصية في هذا القطاع المهم من قطاعات الإعلام والاتصال مستفيدين من خبرة المؤلف في هذا المجال المهم في رصد الأسس والمبادئ العلمية والمنهجية لتربية الصوت وفن الإلقاء. والمؤلف ممن مارسوا التمثيل في المسرح العراقي لعدة عقود وقد بنى معارفه في فن الإلقاء على دراسات أكاديمية فهو خريج الفنون المسرحية عام 1961 بأمريكا وقد نال بدرجة شرف شهادة الماجستير في الإخراج المسرحي عام 1965 وقد عمل اثناء دراسته في المعهد كممثل مسرحي ونجح في أدواره وأشادت به اغلب الصحف الأمريكية والنقاد المسرحيين وقد درس منهج لاساك الجديد في تربية الصوت وفن الإلقاء وتخصص فيه لأهمية هذا المنهج وافتقار اغلب المعاهد والكليات الفنية في الوطن العربي اليه، وبعد رجوعه للوطن عام 1965 عين في معهد الفنون الجميلة عام 1971 وتنقل بمناصب فنية وإدارية بالإضافة إلى تدريسه الإخراج المسرحي والتمثيل والصوت والإلقاء بوجه خاص.

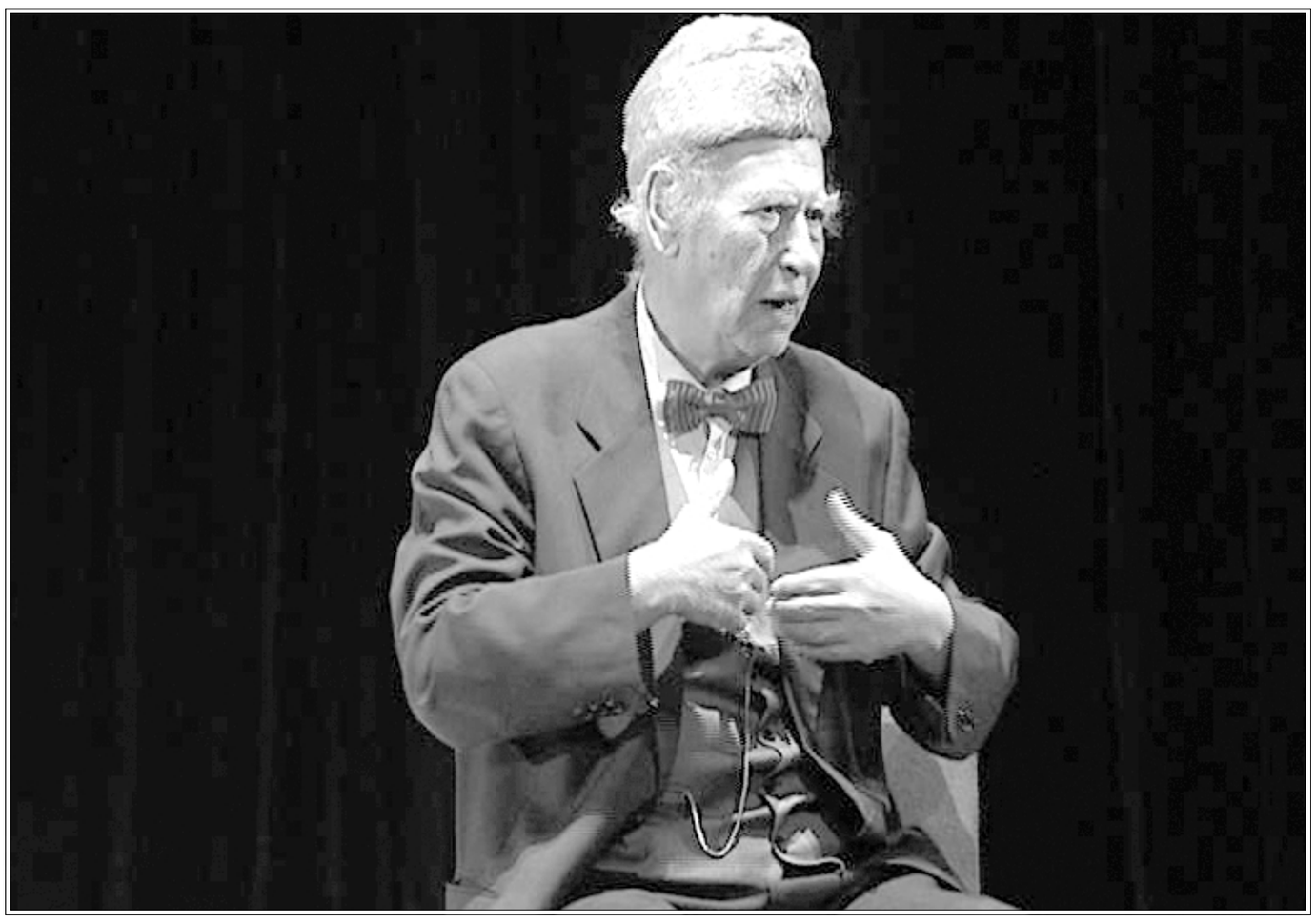

بدري حسون فريد (القدس العربي)

تقنيات الإلقاء وأهميتها

وشمل الكتاب في مبحثه الأول ومبحثه الثاني الصوت البشري.. فسلجة وسكلجة، ويعرف الكلمتين بقوله : إن الفسلجة جاءت من فسيولوجيا وهو علم وظائف الأعضاء أما ـ سكلجة النفس ـ فهو العقل الواعي واللاواعي. ويؤكد العلماء أن الصوت البشري لدى الإنسان الناضج هو نتيجة تفاعل الناحية الفسيولوجية والسيكولوجية معا ولهذا قيل أن الصوت البشري هو فسلجة وسكلجة ثم قالوا أيضا «صوتك هويتك» أو «تكلموا تعرفوا» بمعنى أن صوت الإنسان أشبه ببطاقته الشخصية ذلك أن كل ما يحدث في حياة الانسان منذ ولادته ولربما وهو في بطن أمه حتى بلوغه وكبره من احداث ووقائع وحالات نفسية واجتماعية مختلفة تنطبع وتنعكس على خامة صوته فيعلن عن ماهية الانسان وشخصيته دون وعي وإرادة منه. وفي المبحث الثالث يتناول المؤلف المراحل التشريحية الأربع لإنتاج الصوت البشري فسيولوجيا. وفي المبحث الرابع تناول خارطة إشكال الحروف وكيف يستفيد منها الملقي، وتناول في المبحث الخامس والسادس أعضاء وأجهزة النطق وفي مبحثه السابع تناول علاقة التنفس الصحيح بالتنمية الاقتصادية وأهميته الكبرى للممثل المسرحي.

علم الصوت ومخاطبة الجماهير

ثم تناول بكثير من التفصيل في المبحث الثامن والتاسع والعاشر والحادي عشر والثاني عشر أهمية الإلقاء الصحيح في إيصال المعاني ونقل المشاعر والأحاسيس وأهمية الإلقاء في الأجناس الأدبية الكبرى وأهميته القصوى في الشعر العمودي والحر كقواعد عامة وخاصة لكل منهما. ثم عرج على توضيح أسلوب الإلقاء الخطابي وتقنياته وفي المبحث الثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر أوضح أسلوب الإلقاء التمثيلي وكيفية الإحساس بالإيقاع وفنيته وأسلوب الإلقاء القصصي ولم يفته وهو المسرحي الرائد أن يلقي الضوء على الإلقاء في المسرحيات ذات الأساليب المعاصرة كالمذهب المسرحي الرمزي والتعبيري والطليعي والملحمي. ثم عرج بالقارئ في مبحثه السادس عشر ليوضح فنون الإلقاء في المأساة ـ التراجيديا ـ وتناول أيضا الإلقاء في الملهاة الكوميدية وفي ما تبقى من مباحثه حتى المبحث الحادي والعشرين اذ تناول تقنيات الاستفادة من حروف العلة والحركات في اللغة العربية الضمة والفتحة والكسرة والسكون وتقنيات التغيرات التي تطرأ على الحرف اثناء الكلام وكيف يمكن الاستفادة منها في الإلقاء، وما هو المدى الصوتي لإيصال الرنين والتنغيم وكيف يمكن الاستفادة منها في الإلقاء، وكذلك كيفية التخلص من الرتابة في فن الإلقاء ولم ينس أن يورد التمارين العضلية حسب منهج لاساك الذي يسهل في الوصول بالملقي إلى إتقان فن الإلقاء. والكتاب يعد من الكتب المهمة في علم الصوت وهو دليل وكشاف لكثيرين ممن عملوا ويعملون في قطاع الإعلام والاتصال وكذلك في المخاطبة المباشرة لمجاميع من البشر بغرض التوصيل الفكري والعاطفي لهذه المجموعات البشرية.

كتاب فن الإلقاء ـ تربية الصوت / منشورات الديوان /المملكة المغربية / ط1 عام 2007 / 86 قطع متوسط.

غلاف «فن الالقاء» (القدس العربي)

* كاتب وصحافي عراقي يقيم في المغرب

مكتبة الإسكندرية تستضيفه:

دورة جديدة للملتقى الإبداعي الدولي للفرق المسرحية المستقلة

القاهرة ـ «القدس العربي»:

يستضيف مركز الفنون بمكتبة الاسكندرية الملتقى الإبداعي الدولي الرابع لفرق المسرح المستقل، أوروبا ـ البحر المتوسط، وذلك خلال الفترة من الأول حتى العاشر من شباط (فبراير) العام الجاري.

يتضمن ملتقى هذا العام 12 عرضا مسرحيا و9 ورشات تدريبية في مجالات المينوغرافيا والموسيقى والتحليل الجسدي والارتجال وتحليل العرض المسرحي وإدارة خشبة المسرح.

كما يتضمن البرنامج التدريبي مشروع «الفصل الدراسي» الدولي لطلاب المسرح والذي يضم 18 طالبا من شمال وجنوب المتوسط ويخضعون لبرنامج تدريبي يومي يستمر لمدة تسعة أيام بالإضافة إلى برنامج خاص بالحوار بين الطلاب تحت مسمى «الآخر وصورة الذات».

هذا فضلا عن برنامج الحوار الذي يعقد تحت اسم المسرح كوسيط للحوار بين الثقافات المختلفة «فهم متبادل أم سوء فهم متبادل».

ينشر الملتقى هذا العام كتابين الأول تحت اسم «المسرح المهاجر» ويضم نصوصا مسرحية للكتاب العرب المهاجرين في مختلف أنحاء أوروبا مثل ماجد الخطيب وعبداللطيف اللعبي وياسين النصير وعوني كرومي وسليمان بن عيسى وطارق الطيب.

والكتاب الثاني تحت مسمى «3 نصوص من المسرح الألماني المعاصر» ويضم بين جنباته 3 نصوص مسرحية لكل من «كاترين روجلا وديالور وجيزينا دانك فارت» ويشارك في ملتقى هذا العام أكثر من 20 دولة من بينها مصر والأردن وايطاليا وسلوفينيا وسلوفاكيا والمانيا والسويد وهولندا وتونس وتركيا واليونان والجزائر ولبنان وفرنسا والنمسا وبولندا وبلجيكا وسكوتلاندا وفلسطين والمغرب وسورية وغيرها من الدول الأوروبية والمتوسطية. ويشرف على الملتقى أستاذ المسرح والمخرج محمود أبو دومة.

«الأدب والمؤسسة» لسعيد يقطين:

ضرورة تطوير الذهنيات والارتقاء بالقيمة الثقافية

الطاهر الطويل *

■ يرى الناقد المغربي سعيد يقطين أن المشكلة الجوهرية التي يعاني منها الأدب المغربي تكمن في عدم ارتهانه الى «مؤسسة». ويوضح قائلا: ليس معنى ذلك أنه لا ينطلق من تصور للمؤسسة، ولكن المؤسسات التي ظل يرتهن اليها كانت في مجملها «برّانية» عنه، توجهه وتؤثر فيه ايجابا وسلبا وبصورة لا تجعله يضطلع بدوره على أتم وجه.

في كتابه «الأدب والمؤسسة» الصادر ضمن منشورات «الزمن» بالرباط، يلاحظ سعيد يقطين أن الأدب المغربي القديم ظلت تحكمه، على الصعيد الفني، مؤسسة التقاليد الأدبية المتشكلة في المشرق والأندلس، كما أن الأدب العربي في الأندلس ظل مشدودا بدوره الى الأدب العربي في المشرق. ويتابع المؤلف: لقد كان هذا الانتاج، لأسباب تاريخية، يمارس «سلطته» على الابداع الذي ينتج في المغرب، واستمر ذلك الى العصر الحديث، بل الى وقتنا هذا. وعلى عكس ما يذهب اليه البعض، لا يرى يقطين غضاضة في ذلك، مؤكداً أن الأدب العربي في المغرب وليد الاتصال بالأدب العربي، وهو امتداده الطبيعي، مثله في ذلك مثل الأدب الأندلسي قديما.

ومن جهة أخرى، يعتبر المؤلف أنه، منذ بداية احتكاكنا بالغرب، على الصعيد الأدبي، ونحن لا نأخذ من النظريات والاتجاهات المختلفة سوى نتائجها، وما فكّرنا قط في استلهام الروح العلمية التي يشتغل بها أصحاب تلك النظريات. وبالتالي ـ حسب المؤلف دائما ـ لم يؤد التعامل بالنتائج المستخلصة هناك في الغرب الى تبلور أي تصور علمي للأدب لدى الذين استلهموا سوسيولوجيا الأدب أو علم النفس الأدبي أو اللسانيات، لا يتعدى اسقاط نتائج على الموضوعات التي اشتغلوا بها.

ومن أجل تحقيق ممارسة ثقافية جديدة، يذهب الكاتب الى أن التفكير بممارسة جماعية منظمة ومسؤولة في مجمل القضايا الثقافية والاجتماعية ضرورة قصوى. كما يشير الى أن التحولات الجديدة التي شهدها الواقع المغربي منذ الثمانينيات، فرضت عدة خطابات بدأت تنشط من خلال وسائطها التعبيرية الخاصة، ويحدد تلك الخطابات في: الخطاب الفرنكفوني، الخطاب الخصوصي (الأمازيغي) والشعبوي (صحافة الفضائح)، الخطاب الديني (الأصولي ـ التصوفي)، الخطاب النسائي، مؤكدا أن هذه الخطابات نشطت على اثر تراجع الخطاب القومي والاشتراكي.

ويمضي محللا تأثير هذه التحولات الثقافية على الأدب، مبيّناً أن هذا الأخير انطبع بتنويعات جديدة حملت تسميات وتصنيفات مختلفة: أدب الشباب، الأدب النسائي، الأدب الاسلامي، الأدب الأمازيغي؛ ملاحظا أن الصنفين الأول والثاني يتأسسان ـ بالتوالي ـ على معياريْ السن والجنس، بينما يقوم التمييز في الصنفين الآخرين على أساس العقيدة واللغة، مما يعني أننا أمام معايير لا علاقة لها بنظريات الأجناس والأنواع الأدبية. ورغم أن المؤلف لا يعترض على أيٍ من هذه التصنيفات، ويشدد على حرية كل كاتب في اختيار التصنيف الذي يروقه ما دام يتحقق وفق زاوية فنية وجمالية، فانه يثير الانتباه الى قضية أساسية يلخصها كالآتي: عندما نكون في مضمار الأدب، اما أن يكون ما نقدمه أدبا جديرا بهذه الصفة أو لا يكون، بصرف النظر عن الكاتب وانتمائه وجنسه ولغة ابداعه.

بعد ذلك، يوجه الكاتب نقده لما يسميه «الحذلقة» (كمقابل لكلمة Bricolage في اللغة الفرنسية) التي يعتبرها هي السائدة على الصعيد الأدبي. ويقول بهذا الخصوص: عندما ننظر في تجليات هذه الحذلقة سواء في الصحافة الأدبية العربية أو في البحث الجامعي، نجدها وليدة وعي تقليدي تراكم منذ عصر النهضة؛ مفاده أن أي عمل لا ينشد التأثير في وجدان المتلقي لا قيمة له. ويستدل على ذلك بما هو موجود في كليات الآداب، حيث يلاحظ نفور الطلاب من تحليل النص مهما كان بسيطا وواضحا، ويفضلون الكتابة في الموضوعات العامة. والسبب ـ كما يقول المؤلف ـ يعود الى كون أولئك الطلبة لا يمتلكون العدّة الضرورية للتحليل، وهم عندما يتلقون النظريات النقدية الأدبية، يتعاملون معها على أنها معلومات للحفظ والاستظهار. والمسؤول عن هذا الواقع هو الوعي التقليدي الذي تراكم في شروط سابقة.

فكثير من القراء يصادرون كتبا وأعمالا أدبية مهمة، فقط من خلال ما يُكتب عنها من دراسات غير علمية. وكثيرا ما تتدخل الأهواء والنزعات والعلاقات في الحكم على الأعمال الأدبية، فتحدد قيما سلبية في التعامل مع النص والأدب. ويوضح المؤلف أن هيمنة الطابع الانشائي في تدريس الأدب بمدارسنا وجامعاتنا تأسس منذ ظهور كليات الآداب العربية، ولم يتم تعديله أو تحويره لفائدة التحليل مع مرور الزمان.

والحال أن علاقة الجامعة بالأدب ـ مثلما يبين المؤلف ـ هي علاقة تلقٍ وبحث لا علاقة انتاج، ومعنى ذلك أن ليس على عاتق الجامعة تخريج أفواج من الشعراء والكتاب والمسرحيين والروائيين... انها تهتم على نحو خاص بـ«النص الأدبي» باعتباره ظاهرة ثقافية ـ اجتماعية، سواء في الزمان أو المكان، أي أنها تعالجه من حيث تكوّنه وصيرورته وتطوره. وتبعا لذلك، ترتبط الجامعة بالأدب من خلال ما يسمى «المعرفة الأدبية» تمييزاً لها عن باقي أنواع المعارف التي تضطلع بها الجامعة في تخصصات أخرى ومجالات مغايرة. ويلاحظ أن التطور الذي تحقق على صعيد «المعرفة الأدبية» وما تحبل به من ارهاصات قابلة للتحول بناء على ما يتراكم، يقابله تدن على مستوى الطالب العلمي، وتدهور في قدراته الشرائية، وعزوف عن التحصيل بسبب غياب الحوافز المادية والمعنوية.

ويضيف أن هذا التدهور وذاك العزوف لم يقفا عند حدّ الطالب، بل تعدياه الى الأستاذ الباحث الذي يرى انسداد الآفاق أمامه.

ثم ينتقل الى الحديث عما ينعته بـ«الحقيقة المرة»، والمتعلقة بواقع المخطوطات العربية، فيقول: هناك عدد هائل من النصوص التي لا تدخل في نطاق ما يعرف بـ«الثقافة العالمة» ظلت مغيَّبة ومهمشة، وكثير منها ما زال اما حبيس الخزانات العامة أو الخاصة، وأغلبها ما زال موجودا في المكتبات الأوروبية. ومن العجب أن من يريد البحث الجاد والعلمي الرصين في التراث العربي، عليه أن يكون مقيما باحدى العواصم الغربية، أو عليه أن يتوجه اليها حيث ذخائر من التراث العربي، لا يعرف عنها العربي شيئا. ومن الأعجب أن نطلع على جزء هام من التراث مترجما الى الفرنسية مثلا، ولا نعثر عليه بالعربية.

ويدعو الى تجاوز ما يسميه الوعي التقليدي ازاء التراث، وذلك بالتعرف عليه ودراسته وليس بالمصادرة المسبقة والجازمة، مؤكدا أن هذا الوعي هو الكفيل بجعل المحقق يضطلع بدوره الكامل، ولاسيما اذا تم اعداد المحققين اعدادا جيدا، وتجاوز العمل الفردي في التحقيق حتى لا يبقى نزوة خاصة بالمحقق، وتشكيل لجان للعمل الجماعي تقوم على الدراية والتخصص، وتضع لنفسها جدولا للعمل، ونصوصا محددة تقوم بترتيبها وتتولى تحقيقها في آجال محددة.

وعند تطرقه الى أهمية الترجمة المتمثلة في جعل الشعوب تتفاعل مع ثقافة غيرها ابداعا ونقدا وبحثا، يسجل أن عملية الترجمة في المغرب تتقدم ويضطلع بها باحثون ودارسون قدموا نماذج مهمة من التراث الأدبي النقدي الفرنسي خاصة والانكليزي بدرجة ثانية، ويستدل على ذلك بتجارب كل من:

ابراهيم الخطيب ومحمد البكري ورشيد بنحدو ومحمد معتصم وعبد الكبير الشرقاوي ولحسن حمامة. لكنه يستطرد بالقول ان المشاكل المشار اليها في التحقيق هي عينها التي نجدها في الترجمة، ذلك أن هذه الأخيرة ما زالت «هواية» مشتغلين بالأدب، وليست عمل متخصصين في مجالات محددة، يترجمون بناء على خطة محكمة تنطلق من تحديد القيمة التاريخية للنص المترجم ومن ريادته في مجال اختصاص محدد.

وعلى العموم، يؤكد سعيد يقطين أن المسألة الثقافية ظلت مغيّبة أو موجهة لغايات سياسية ما، ولم يتم التعامل معها قط باعتبارها «قضية انسانية» تتعلق بالانسان المغربي أو العربي في حد ذاته. ويقول موضحا: لا يمكن أن تقاس درجات ومراتب المجتمعات فقط بحسب امكاناتها الاقتصادية، وبدون اعتبار رأسمالها البشري. ان العمل الذي يبذله الانسان ليس فقط مجهودا «عضليا» يساهم في تطوير وتيرة الانتاج أو تسريعها، ولكنه أيضا ـ وقبل ذلك ـ «قيمة ثقافية»، وتعبير عن ذهنية. ومن ثمة، يستنتج المؤلف أنه لا يمكن الارتقاء بالذهنية أو تطوير القيمة الثقافية للمجتمع دون ايلاء «القضية الثقافية» ما تستحق في مختلف المشاريع أو الاصلاحات المختلفة الممكنة أو المحتملة.

* كاتب من المغرب

تداعيات

في تذكر ممدوح عدوان

عدنان شعبان*

■ وها أنذا كلما قرأتُ مرثية محمود درويش لممدوح تفر الحروف كأسراب الأحزان تُبلِّلُ أجنحتها الدموع فتتباطأ في رفيفها كتنهُّدات الثكالى وهل ثكلاً أكثرُ من رحيل الشهب. كانت لقاءاتي معه كشهقات الزمن الرائع في لحظات التفجّع. طفلان يعبثان بحارات دمشق العتيقة نقطفُ من أسوار حدائقها بعض الياسمين شآميّ الهوى. فضولي الفوحان. يتسلّلُ عبر الأسوار خلسة ليتلصّصَ على همسات العُشاق وقيل يزدادُ تضوّعهُ إن كانوا أحباباً مارقين، وها نحنُ ننثرُه على حبيبين خجولين وجلين فيرتجفانِ التصاقاً ويشابكان الأيدي فالياسمين يعقد قران العشاق.

ممدوح أذكرُ مرةً نثرتَ قليلا منه على طفلة حافية وكان حنانكَ يسيل على قلبها رسولاً دافئاً وحين سألتَها: أين أبوك يا طفلتي؟ أجابت لا أدري لم أره، وأضافت: ربما هو أنت؟ لو كنتُ أباً لك ايتها الطفلة البائسة النضرة إذاً من أين جاءك هذا الجمال!! وضَحكتَ بأساً ضحكةً لها دويٌّ. كأن أسراب قطا على غدير ماء ترتويَ لفراخها العطشى ففاجأها صيادٌ متُخمٌ بأوزاره كأنَّ ظلَّهُ على الأرض أثقلُ من ظلِّ طائرة انقضت على أطفال مدرسة ابتدائية إحصدوا أيهاَ القتلةُ وعلى الفراخ أن تموت عطشاً وكذلكَ دفاترُ التلاميذ .لقد زارتكم الطائرات والطيارون يُمجدون وحشيتهم على الكراريس بالحبر الأحمر. ان فجراً أشرق من دفاترهم الرضيعة ليُحرج بنضارته شمس صباحٍ قد احمرَّت خجلاً حين رأت بهاء الدماء الرضيعة.

ممدوحٍ أتذكرُ مرة حين جاءتنا بصارة تقطرُ البراءة من وجهها كما يقطرُ الندى على جدائل الشاميات من شجر بللّهُ مطرٌ عابثٌ وحين فتحتْ كيسها المليء بالخرز من الخضرم والودع والمحار والصدَف وجذور الزعتر الجبليّ وورق البيلسان لتبُصرِّ لكَ قلُتَ لها ضبي يا مليكتي أشياءكَ الساحرة وبصرّي لي بحفنة الياسمين هذه والتي أخرجتها من جيبك وها هيَ تبُعثرُها على الرصيف بيد بارعة فتجمعت الياسمينات على بعضها وشكلّت إكليلَ عروسٍ مبُهرٍ وحيثُ قوانينُ الاحتمالات تتناثر غبُاراً واهنا ونواميس الرياضيات والفيزياء تتلاشى أمام قوىً أعمقَ وأطغى! ياسمينة واحدة قد شردت بعيداً فارتعشت البصارة وبدأت تتُمتمُ بأحُجيات صوفية وأشرقت عيناها بنذرٍ من طقوس مبُهمة فانصرفت راسمةً على وجوهنا غيوماً من ذهولٍ مُحير وكعادتك أيها الراحلُ تتجاوز المألوف الموجعَ والمفُجع وكأنَّ التماعَ عينيكَ برقٌ لغيوم الحيرة على وجوهنا وبدأتَ تهطلُ تسكبُ نغماً كمقُرئٍ يرُتلُّ يشُكلُّ بهاء أجلٍ قادم فأنشدتَ رائعتك.

وها إني عثرت الآن
علي شيء سأفعله بلا استئذان:
أموت
لكي أفاجئ راحة الموتى
وأحرم قاتلي من متعة التصويب
نحو دريئة القلب
الذي لم يعرف الإذعان
سأحرم ظالمي من جعل عمري
مرتعا لسهام أحقاد
وأرضا أجبرت أن تكتم البركان
أموت
وقد نزفت مخاوفي

أبنّتكَ البراكين أيها الشيخُ الرضيع أبنّتكَ البراكين ايهُّا الطفلُ الأبدي يا ابن الفلُّ من سندس أنتَ ومن بقايا نرجس كيف أرثيكَ والأبجدية حطام وحروفُ التلوعِ تنام وتنام خجلى ثكلى، وهذه الأيامُ على حرُّ وجعها تنُذرُ وتصرخُ سأحصدُ منكم ما لذ وطابَ فأنا لايسُكرني إلا أرواح الأنقياء من الرجال فالقدرُ الأحمقُ اليوم نشوان بسحر هذه المُدام ويقولُ متُشفياً ها أنت بالأمسِ القريب واليوم محمد الماغوط وعبد السلام العجيلي وقبلك ادوارد سعيد و سعد الله ونوس. سأظلُّ أجتثهم سأبحثُ عنهم حتى ولو اختفوا في الأوهام وسافروا مع الأحلام.

هاأنا عبثاً أخادعُ القلب لأنسى لقاءاتي به.إنهُ يأتيني نضراً كربيعٍ بعد طولِ جفاف.

محمود درويش عذُراً ان تطفلتُ على أبجديتك فإنشادكَ الأسطوري في أربعينية ممدوح أحُجيةُ الأحُجيات ها أنت تستدرجنا الى فخاخ مدُهشة وغير مألوفة لدينا، وكما الزهرُ والشجر والعشبُ وبتجليات عصية على الفهم يبُدعُ سلالات هي ثورةُ الطبيعة على موروثاتها. كذلك الموت صار لهُ مزاجُ الندماء صار نواسياً في انتقاء الراحلين نحو الأبد! ها هو يسقطُ على سكينة القلوب ليهزَّ شغافها كما يسقط حجر على سطح ماء ساكن فيرتعشُ أمواجاً تحملُ رسائل لعشُب الشواطئ. وهاهو عشب الأرض من فرطِ نضارته يوحدُ بهاء المرثيَة والراثي.

محمودُ ما هذا التواصل بينكَ وبينَ الأرض أكلُّما أطفأتْ لك مُهجةَ صديق تتأجَّجُ علاقةُ العشق بينك وبينَ عشُبها .فتكتبُ مرثياتك بأبجديةٍ ساحرة؟ كيف اكتشفت أن العشُبُ هوَ هيروغليفية الترابِ وكيفَ تمكّنتَ بأربعين يوماً من فكِّ رموزها والكتابة بهذه اللغة المعُجزة الرضيعة فتثير حفيظة النحويين واللغويين وليعودوا الى حروف معاجمهم التي لا تثُير الا غبارا متراكما؟ ها أنتَ تتسللُّ الى الحامض النووي لحبةِ البلوط فتحُاورهُا لتعزفَ لنا انفعالاتكَ بطقطقة صوفية التواصلَ.

لكأنَّ طبلاً يمُزِّق شجوهُ سكون ليل أفريقيا، وفجأةً يلتهبُ إيقاعهُ نذيراً للبؤساء بأن سفينة للقهر التمعت أنوارها المسمومة من الأفقِ الغربي.قدمتْ للتوِّ لتملأ جوفها الفارغ ببضائعَ من بشرٍ. وتفُرغها هناك هناكَ عند الوجه القبيح للكون .

ممدوحِ ايها السوريُّ المضُرّجُ بالغياب عشُت دهرك مفزوعاً تطُاردكُ أقبيةٌ متوحشة كيفَ نجوت بإبداعك من ظلمتها كيف نجا صلصالك من سدنتها؟ أم أنك وكما أبدع عبيد روما جرارا، جراراً ذكية، جبلوا صلصالها بدموعهم وشووهُ بلهيب السوط فوق ظهورهم ويرُمزونها بآهاتهم. لقد دبتَّ فيها الحياة حتى اذا بدأ الخمرُ ينسكبُ منها في أفواه الأباطرة تترنمَّ ترنمُّاً موجعا يفُزعُ المتُخمين البلُهاء. إن الرفض الإنسانَي للعبودية له دلالاتٌ تتجاوز حدود الطبيعة فهذا الاتفاق الحنون بين ذرة الصلصال ودموع هذا الإنسان المسُتعبد المثُقل بالرموز والكشوف تقودنا الى دلالات وايحات كونية توحيدية، وها أنت بقصائدكَ وبمسرحياتك تحتضنُ دهاء السنابل ولكنك تحملُ عافية الخصب ولم تنحن.

محمود في رثائكَ لممدوح عدوان كانت الميم الثانية لاسميكمُا قطعة غيار ندَّخرهُا للطرق الوعرة أليست هي (ميم المغُامر المعُدُ المستعدُّ لموته الموعود منفياً مَريض المَشُتهى) (وهي التاريخ يسخر من ضحاياه ومن أبطاله يلقي عليهم نظرة ويمر) أيها الشاعر الذي لا يدخر بل يحترق وكالنيران المقدسة لا ينطفئ حتى يتلاشى. عهدناك عدواً للرماد .. ..

ممدوح ها أنا أحمل عتابك العلقمي لأحبتك. لماذ لم تفُتشِّوه قبل ان تغرسوهُ في التراب فتشّوهُ فسوف تجدون في تفاصيله براكين وأعاصير وأعشاش عصافير فتشوهُ ففي أحداقه خبأَ قصائد.في قوافيها طعمُ الرحيل ولكنَّها كرحيل الغيومِ تغيبُ خلف الأفق لتهطلَ في البعيد على واحات حيثُ شتل أفكاره بعيداً وكما تنقل الريحُ بذور نباتات الصحاري تنتظرُ برقاً وسحابا لتزُهر ولكن لزهره أشواكاً من عسلٍ توخز، وأفكاراً من برقٍ تومض فتدُهش...وداعاً أيها الوفي الا بالرحيَل.

* كاتب من سورية